المحاضرة 03 الخبر أغراضه وأضربه وأدوات التوكيد

استقر رأي الحذاق من علماء البلاغة والنحو وأ ول الفقه أن الكلام ينحصر في قسمين خبر وإنشاء ، ولا يوجد له قسم آخر.

ومقتضى ذلك أن الكلام إما أن يحتَمل أن يقال فيه مُطابق للواقع أو لا ، فإن طابقه فهو ادق وإن خالفه فهو كاذب. وإما أن لا يحتمل أن يقال له ذلك لكونه ينشئ حدثا ما .

وعليه فالجملة قسمان خبرية وإنشائية؛

أما **الخبرية** فهي التي تشتمل خبرا ما ، فمضمونها إخبار عن أمر ما إيجابا أو سلبا.

وأما الجملة الإنشائية فلا تتضمن خبرا، وإنما أنشأ النطق بها حدثا، قد يكون استفهاما أو أمرا أو نهيا أو غيرها مما لا يمكن الحكم عليه بالصدق أو الكذب ويتضمن حدثا ما .

أولا: أغراض الخبر البلاغية :

معلوم أنّ الخبر الأ ل فيه إعلام المُخَاطب بمضمون إخباري ما، وإفادته به؛ وعليه فأهم الأغراض البلاغية التي يقصدها المتكلم إخبار المُخاطب(المتلقي) فائدة يجهلها، وتسمى عند البلاغيين **فائدة الخبر.** فهيّ إذن إعلام المُخَاطب الحكم الذي تضمنته الجملة الخبرية . نحو: **البلاغة فن الإيجاز.**

فمصطلح فائدة الخبر يعني: إفادة المتكلم للسامع بالحكم(المضمون)التذي تتضمنه الجملة ويكون السامع جاهلا بالخبر.

وقد لا يكون الغرض من إلقاء الخبر إلى المخاطَب بالخبر، إفادته لأنه عالم به ، فيكون الغرض إعلام المخاطب بأني عالم بالخبر ، ويسمّى هذا عند البلاغيين **بلازم الفائدة نحو "أنتَ قدمتَ من سفرك أمس.**
(ينظر عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني: البلاغة أسسها وعلومها و ور من تطبيقاتها ص173.

فمصطلح لازم الفائدة: يعني أن المتكلم لا يريد تزويد السامع بشيء لا يعلمه كون السامع على علم به أكثر من المتكلم، فمضمون الخبر هنا لا يكون مقصودا في ذاته بل المقصود شيء يلزم ويترتب على هذا المضمون. نحو كونه عالما بذلك الشيء سواء تم إخفاؤه أم لا.

نحو : إنسان يحسن إلى جاره خفية، فيأتيه آخر ويخبره بأنه على علم بذلك حتى وإن أخفاه فهذا لازم الفائدة . أي إفادة المخاطَب بأن المتكلّم عالم بالحكم الذي يعلمه المُخاطَب.

يقول المتنبي في مدح سيف الدولة : (ديوان المتنبي ص385، وبكري شيخر أمين ص 55)

تدوسُ بك الخيل الوكورَ على الذرى وقد كَثُرت حول الوُكورِ المَطَاعِمُ

نثَرتهُم فوق الأُحيدِب نَثرَة كما نُثرت فوقَ العَرُوس الدّراهم

شرح الكلمات : الوكور: أعشاش الطيور الجارحة في قمم الجبال، الذرى : جمع ذروة قمة الجبل، المطاعم الجثث القتلى للروم(استعارة تصريحية حذف الجثث و رح بما شبهها به وهو طعام الطيور الجارحة) .

شرح البيت: إنك تتبع الروم بخيلك إلى أعالي الجبال حيث وكور الطيور الجارحة، فتقتلهم هناك وتمزّق أشلاءهم، فوق جبل الأحيدب حتى تكثر مطاعم الطير حول وكورها في قمم الجبال. وقد تناثرت الجثث كما تتناثر الدراهم فوق العروس. كله من هول وقوة وشدة بطش سيف الدولة وجنوده.

فهل المتنبي يريد إخبار سيف الدولة بما حدث ، طبعا لا لأن سيف الدولة أكثر علما بمجريات الحرب التي خاضها.

هنا المتنبي يريد إخبار سيف الدولة بأنه عالم بشجاعته وبطولاته وهو يفتخر به ويمدحه فهذا يسمى **لازم الفائدة**. (ينظر محاضرة محمد لاح أبو حميدة: أغراض الخبر البلاغية، قناة الأزهر التعليمية، محاضرة مرئية، وينظر، بكري أمين الشيخ ، البلاغة في ثوبها الجديد، الجزء01، علم المعاني، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط07، 2001، ص54-58.)

ونحو قول المتنبي من القصيدة نفسها : **تمرُّبك الأبطالُ كلمى هزيمةً ..ووجهك وضّاحٌ وثغرك بَاسِمُ**

فسيف الدولة يعرف أنه كان واقفا في مستنقع الموت، مُثبّتا رجليه، ويعرف أنّ أعداءه كانوا يهربون من امامه مهزومين ومجروحين ، ويعرف أنه كانت تعلوه الابتسامة بل هو احبها، فسيف الدولة يعرف كلّ هذا ، والشاعر هنا لا يخبره بخبر جديد ، وغنما يعيد امامه مشاهد الحرب ليخبر سيّده أنه يعرف أيضا ما حدث بالحرب وما قدّمه سيف الدولة من شجاعة ، فصاغ له كل ذلك في قالب شعري غرضه المدح والفخر والتعظيم لسيف الدولة. (ينظر بكري شيخ أمين ، ص 55)

وأحيانا لا يقصد بالأسلوب الخبري لا الفائدة ولا لازم الفائدة بل يفهم من السياق، وطريقة الكلام، ويدرك بالذوق ،ومعلوم أن علم المعاني يركز على المعاني الثواني لا المعاني القريبة،

وفائدة الخبر أو لازم الفائدة هي من الأشياء القريبة التي لا تحتاج إلى إعمال الذهن ونحن ندرسها فقط لاستكمال المعرفة وما يهم هو المعاني البلاغية التي تترتب على الأسلوب الخبري حين خروجه عن مقتضى الظاهر.

فقد يخرج الخبر –حسب البلاغيين[1]- إلى أغراض أخرى يمكن أن يؤديها / نُدركها بالذوق والتأمل في سياق الكلام وقرائن الأحوال ومنها :

1. **الوعظ والإرشاد** : نحو قوله تعالى: "**كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ ثم إلينا ترجعون**" العنكبوت 57.
2. **التوبيخ والتأنيب**: نحو قول معروف الر افي" **فَشَرُّ العالمين ذَوو خُمُول** إذا فاخَرتهم ذكروا الجدودا.**
3. **الاسترحام والاستعطاف**: نحو قوله تعالى" **قال ربِّ إني ظلمتُ نفسي**" القصص 16
4. **إظهار الضعف** : في قصة زكرياء "**قال ربِّ إني وهن العظمُ منّي واشتعل الرأسُ شيبا**" سورة مريم، الآية :4.

الأسلوب خبري ، فيه خطاب إلى الله سبحانه وتعالى ، فهل يريد زكرياء عليه السلام إعلام خالقه بشيء ، والله عزّ عز وجلّ يعرف أنه وهن العظم منه، واشتعل رأسه شيبا ، فزكريا عليه السلام هنا يريد من إلقاء خبره إظهار الضعف والعجز.

5. **التعجب من قوة الصبر والجلد** : نحو قول أبي فراس الحمداني: (ينظر توفيق الفيل :بلاغة التراكيب، ص16.)

أَراكَ عَصِيَّ الدَمعِ شيمَتُكَ الصَبرُ. أَما لِلهَوى نَهيٌ عَلَيكَ وَلا أَمرُ.

6. **التحفيز والحث على العمل والجد** : نحو قول الأستاذ للطلبة : لا يستوي من يعمل ويشارك ومن لا يشارك في الدرس ومنها قوله تعالى :" **لَّا يَ تَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُ هِمْ ،فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُ هِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُ نَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا** " سورة مريم : النساء :95

ثانيا: أضرب الخبر: معلوم أنّ مواقف الناس حين تلقّيهم خبرا ما متباينة، هناك من يصدّقه ، وهناك من يكذّبه، وهناك فئة تشكّ في الخبر فتتردّد ولا تصدقه مباشرة، وهذه المواقف المتباينة يلاحظها الذكي والبليغ، فيبني عليها كلامه ويراعيها في إطار ما يسمى في البلاغة مراعاة مقتضى الحال، فالبليغ يعرف أن مخاطبة منكر الخبر تختلف عن مخاطبة المتردّد والشاك أو المصدّق له، فنجد البليغ ينوع أساليب إخباره توكيدا أو عدم توكيد. طلبا لتوكيد المعنى في النفس وإزالة ما بها من شكّ أو إنكار.(ينظر بكري شيخ أمين، البلاغة في ثوبها الجديد، ج1، ص67

لذلك حد الدارسون البلاغيون أضرب الخبر في ثلاثة بناء على هذه المواقف الثلاثة:

1-إذا كان المخَاطَب خالي الذهن (أي جاهلا بالخبر) إزاء ما يُلق إليه، فيحسن للبليغ إلقاء الخبر من دون تأكيد، ويسمى هذا النوع أو الضرب **"الخبر الابتدائي"** فيَرِدُ خاليا من المؤكدات .[ينظر: البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، ص51، مفتاح العلوم ، ص170، البلاغة في ثوبها الجديد، ص67.

مثال ذلك قوله تعالى **" المال والبنون زينة الحياة الدنيا" ، وقولنا " خبر الناس من نفع الناس.**

2- إذا كان المُخَاطَب عالما بالخبر، لكنه يشكّ فيه، أو متردّد بين قبوله وإنكاره، فيحسُن للبليغ تأكيد هذا الخبر بمؤكد واحد ، من اجل إزالة الشكوك ، وتمكين المعنى في النفس، ويسمى هذا النوع أو الضرب "**الخبر الطلبي**" . فالمُخبر هنا وجب أن يكون حكيما ينزع الشك أو التردد بتأكيد الكلام بمؤكد واحد نحو قولنا: **إنّ النجاح حليفُ المجتهد**

وقوله تعالى" **قد أفلح من تزكى**" العصر:02. أو قول الشاعر :

إنَّ البِناءَ إذا ما انهدَّ جانبُه... لم يأمَنِ الناسُ أنْ يَنهدَّ باقِيه ..... ورد الخبر هنا مؤكدا بمؤكد واحد هو إنّ

3- وإذا كان المُخاطَب لا يصدّق بسهولة ما يُخبَر به ، وعالم بالخبر ،فلا يقف موقف المصدّق أو الشاك بل ينكر الخبر على قائله، ولا يقتنع به إلأا إذا أزيد عنه إنكاره بمؤكدات شتى ، تكفل لنا نقله إلى خانة المُصدق للخبر، يحسن بالبليغ هنا تأكيد كلامه بأكثر من مؤكد ، ويسمى الخبر هنا أو الضرب **"الخبر الإنكاري"** . والحكيم البليغ من يوظف أدوات التأكيد المختلفة على حسب قوة الإنكار ودرجاته ، نحو قولنا لمنكر البعث والنشور: **والله إنّ الجنّة لَحَقٌ، وإنّ النّار لحق.**

ونحو قولك: **إنّي لَصادق** ، لمن ينكر عليك دقك ويُبالغ في ذلك

وقوله **تعالى " وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ "** يونس:13 حيث تضمنت تراكيب الآية مؤكدات عدة هي:

لام الابتداء في لقد ، والحرف "قد" الذي من معانيه التحقيق ويفيد التوكيد، وإدخال حرف "من" على لفظ قبلكم وهي زائدة يتم الكلام بدونها بصورة عادية لكنها تسهم هنا في توكيد المعنى.

وقول الشاعر: والله إني لِأَخو هِمَّةٍ ... ت مو إلى المجد ولا تَفْتُر

ورد الخبر بثلاث مؤكدات هي القسم وأداة التأكيد "إنّ" ، واللام فالضرب هنا ضرب إنكاري .

تلخيص: هكذا ينقسم الخبر بحسب أضربه إلى ألوان ثلاثة: (البلاغة في ثوبها الجديد: بكري شيخ أمين ص68)

-**خبر ابتدائي**: وهو ما خلا من توكيد.

-**خبر طلبي**: ما تم تأكيده بمؤكّد واحد.

-**خبر إنكاري**: هو مازاد توكيده على مؤكد واحد ..

وقبل عرض أمثلة تطبيقية ، لا بأس بعرض **مؤكدات الخبر**(أدوات التأكيد) في العربية .

تضم اللغة العربية أدوات كثيرة تُسهم في تأكيد معنى التراكيب ، ومنها : إنَّ، وأنَّ، ولام الابتداءِ، وأحرفَ التنبيه(ألا، أما)، والقسم، ونونا التوكيد الثقيلة والخفيفة، والحروف الزائدة مثل الباء، ومن، والتكرار، وقدْ، وأمَّا الشرطية ، السين وسوف، لن ، وإنما، واسميةُ الجملةِ، وضميرَ الفصل، وتقديم الفاعل المعنويّ.

أمثلة تطبيقية محلولة:

حدد أضرب الخبر في التراكيب الآتية وبين غرضها :

1- قال أبو الطيب المتنبي: **عَلى قَدْرِ أهْلِ العَزْمِ تأتي العَزائِمُ ... وَتأتي علَى قَدْرِ الكِرامِ المكارمُ**

*ورد التركيب الشعريّ خاليا من أداوت التأكيد، مما يعني أن **ضرب الخبر هنا ابتدائي** . **بغرض** إظهار حكمة أنه على قدر الاجتهاد والعزيمة والمثابرة يكون الجزاء

2- قال تعالى على لسان امرأة العزيز :"**وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ.**" يوسف:32

- وردت الآية مؤكدة بمؤكدين: اللام ونون التوكيد الثقيلة **فالضرب إنكاري** ، والغرض التهديد والوعيد لسيدنا يوسف عليه السلام .

3-قال ىلى الله عليه وسلّم:" **يرحم الله أخي لوطا** "

- أسلوب خبري ، وضرب الخبر هنا **خبر ابتدائي** ، لأنه ورد خاليا من المؤكدات .

4- قال ىلى اله عليه وسلّم : "**إنما الأعمالُ بالنّيات وإنّما لكلِ امرئٍ ما نَوى** "

- أسلوب خبري : **ضربه طلبي**، وغرضه النصح والإرشاد

5- يقول الشاعر: **وليس أخو الحاجات من بات نائما ولكن أخوها من يَبيتُ على وَجَل**

الوجل هو الخوف والفزع ، فالأسلوب هنا خبري **وضربه ابتدائي** لخلوه من المؤكدات وغرضه التحفيز على العمل.

هذا وقد يخرج الخبر عن مقتضى الظاهر إلى خلافه ، فيتم تنزيل خالي الذهن منزلة العالم به ، أو العالم بالخبر منزلة خالي الذهن ، لأغرض بلاغية تُستفاد من المقام وسياق الكلام .

. فالأ ىل أن خالي الذهن لا يؤكد له الكلام، والشاك والمتردد يستحسن أن يؤكد له الكلام بتوكيد واحد، والمنكر يؤكد له بأكثر من مؤكد حتى يزول الإنكار، وقد عرفنا هذا من قبل، لكننا قد نجد كلاماً يخرج عن

هذا الأ ل، فينزَّل غيرُ المنكر منزلة المنكر، أي يعامل معاملته، كما يظهر ذلك في قوله تعالى :﴿**ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ**﴾ **[المؤمنون:** 15] فنحن نعلم أن الموت لا ينكره أحد ولا يشك فيه، فكيف إذاً يؤكّد الكلام بـ(إن و اللام واسمية الجملة)؟.

الجواب عن ذلك: أن المخاطب (غير المنكر) نُزِّل في هذه الآية (منزلة المنكر) فعُومل معاملته فأُكد له الكلام، والسؤال هنا: لماذا كان ذلك؟ الجواب: لأن المراد هو إيقاظ الناس من غفلتهم ؛ لأنهم وإن كانوا لا ينكرون الموت بأقوالهم إلا أن حالهم وتعاملهم، وطول أملهم وفشو الظلم بينهم، يدل على أنهم لا يتذكرون الموت، ولا يشعرون به، فكأنهم بهذا ينكرون وقوعه، لذا حَسُن أن يكون الكلام الموجه إليهم مؤكداً بمؤكدات عدة. وهناك ورة أخرى وهي: أن ينزل المخاطب خالي الذهن منزلة المتردد والشاك، وذلك إذا تقدم في الكلام ما يستدعي التساؤل والاستفهام من المخاطب، كالنهي والأمر، والخبر الغريب، حينها يحسن توكيد الكلام بما يزيل هذا التردد والشك المتوقع عند المخاطب.

---

(1) نخالف البلاغيين في هذه النقطة حيث نرى- ما رآه بكري شيخ أمين (البلاغة في ثوبها الجديد، ص58) أن الخبر إما أن يدخل في غرض الفائدة أو لازم الفائدة ، وهما يقتضيان أغراضا ومعاني مختلفة منها إظهار الضعف، أوالاسترحام، أوالاستعطاف، أو التحسّر أو المدح ، أو الفخر وغيرها من الأغراض، فما قاله مثلا المتنبي في سيف الدولة يندرج في غرض لازم الفائدة ثم هو في الوقت نفسه يفيد المدح والفخر.